

تراث البادية

مقدمة لدراسة البادية في الكويت

د. محمد الحداد . د. فاطمة الخليفة . د. بدر الدين الخصوصي . د. حصة الرفاعي . د. عبدالرسول الموسى

إشراف : أطفاف الصباح

تقديم : د. أحمد أبو زيد

تراث البادية

مقدمة لدراسة البادية في الكويت

د. محمد الحداد . د. فاطمة الخليفة . د. بدر الدين الخصوصي

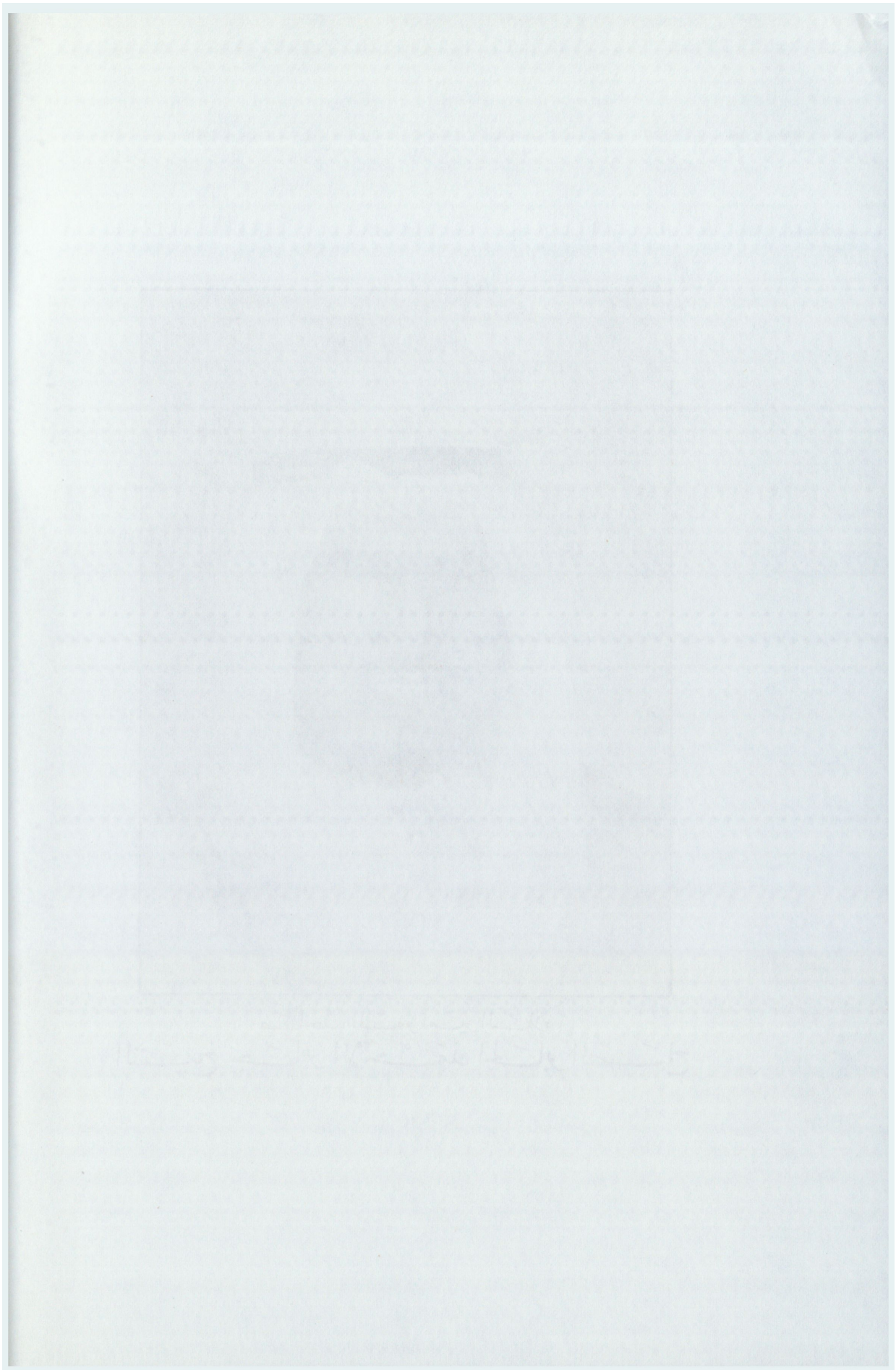
د. حصة الرفاعي . د. عبد الرسول الموسى

تقرير أعمال ندوة تراث البادية التي أقيمت في بيت السدو

بالتعاون مع جامعة الكويت في ٣١ مارس ١٩٨٦

إشراف: أطفاف الصباح

تقديم: د. أحمد أبوزيد





صاحب السمو وليّ العهد رئيس مجلس الوزراء
الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح

المحتويات

الصفحة

- ١١ - التمهيد
- ١٣ - المقدمة
د. أحمد أبو زيد
- ٢٣ - التغير والثبات في ثقافة البادية
د. محمد الحداد
- ٦٥ - المظهر الانساني في الصناعات الشعبية
د. حصة الرفاعي
- ٧٩ - دور البادية في تشكيل ملامح المجتمع الكويتي وخصائصه
د. بدر الدين عباس الخوصي
- ٩٣ - التغير اللغوي في الشعر البدوي
د. فاطمة الخليفة
- ١١٧ - التحضر ودور البدو في البناء الاجتماعي في الكويت
د. عبد الرسول الموسى
- ١٣٥ - ببلوغرافيا مختارة عن البدو
اعداد: المكتبة المركزية للدولة

«التغير والثبات في ثقافة البادية»

د. محمد الحداد

مقدمة:

يعتبر مصطلح الثقافة Culture من أكثر المصطلحات شيوعا واستخداما في العلوم الاجتماعية، وأنه لم يحظ مفهوم مثله بقدر ما حظى من ثراء في تعريفاته منذ اوائل القرن التاسع عشر إلى الوقت الراهن. بل أصبحت هناك موضوعات متعددة تتناول دراسة الثقافة مثل علم الثقافة Culturology والثقافات الفرعية وأنماط الثقافة والاتصال الثقافي والتغير الثقافي والتخلف الثقافي والنسبية الثقافية والتمثيل الثقافي ومجموعة كبيرة من المصطلحات التي تتناول الثقافة بشكلها العام.

ويعود السبب إلى الاهتمام بهذا الموضوع من الباحثين إلى أن الثقافة هي ظاهرة تميز الوجود الانساني عن غيره من سائر الكائنات والموجودات الحية الاخرى.

وفي إطار الجهود التي بذلت لتعريف الثقافة نشر العالم «ادوارد تايلور» تعريفا يعد من أشهر التعاريف التي تناولت مفهوم الثقافة، بل إن تعريفه يعد أول محاولة انثربولوجية لتناول هذا الموضوع بشكل جدي وشامل. لقد حدد تايلور الثقافة بأنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والاخلاق والعادات والعرف وكافة القدرات والاشياء الأخرى التي تؤدي من قبل الانسان باعتباره عضوا في مجتمع، أي أن الثقافة هي كل ما صنعه الانسان ويصنعه، هي مجمل التراث الاجتماعي للجماعة^(١).

في ضوء ذلك نجد أنه من الصواب أن نقول إن الثقافة هي محصلة الوجود الانساني، أي أن لكل مجتمع بشري ثقافته الخاصة التي تميزه والتي تختلف في مجموعها عن ثقافة أي مجتمع آخر، فالانسان في المجتمع يحتاج إلى الغذاء دائما ولكن كيف يحصل عليه، وما نوعيته وحجم الوجبة التي يتناولها ثم من يشاركه الاكل وما الاوقات التي يفضل أن يأكل فيها وما مواعيد الوجبات الرئيسية، وأخيرا ما هي عادات الطعام، كل هذه الامور يختلف فيها مع الغير كل حسب ثقافته. ولا ينسحب ذلك على الطعام فقط، فالثقافة هي التي تزود الافراد بالطرق التي يعدون بها مساكنهم من أجل مأوى والحماية من الاخطار أو البرد أو الحر أو من كل ما يهدد بقاءهم واستمرارهم في الحياة بصورة طبيعية، كما أنها هي التي تحدد نوع العلاقات

(١) A. L. Kroeber and Clyde Kluckhohn, 1963 culture: Critical Review of concept and definition papers of the Peabody Museum of American Archeology and Ethnology, Harvard Univ, XLVII No 1, 1952.

الاجتماعية والقراية بين الافراد وأنواع الاستجابات الاجتماعية للمثيرات المختلفة. ومن المعروف كذلك أن ضمن كل ثقافة هناك ثقافات فرعية تعمل على تنظيم نفسها بحيث تتطور لتلائم الثقافة الكلية أو التي تتفاعل معها. وهي في نفس الوقت تتضمن عناصر تشترك فيها مع الثقافة الكلية، كما تحتفظ لنفسها بعناصر أخرى تميزها عن غيرها من الثقافات الفرعية الأخرى.

ويؤكد كثير من الدارسين أن سبب هذه الاختلافات والتميزات بين الثقافات يعود إلى مجموعة من العوامل المتفاعلة أهمها العوامل الايكولوجية والعوامل التكنولوجية والاستعارة الفنية.

أما العوامل الايكولوجية فهي تأثير البيئة الطبيعية وما تحويه من امكانات متاحة يستفيد منها الفرد. أو هي عمليات التفاعل التي تقوم بين البيئة الطبيعية ومجموعة من الافراد في منطقة محددة يعرفها الانثروبولوجيون بأنها تفاعلات وتوجيهات من البيئة للانسان بشأن استغلال مواردها الطبيعية وتسخير امكاناتها لخدمة مطالبه وما يترتب على ذلك من ظهور أنماط وأساليب للتفكير والعمل الانساني ترمي بالدرجة الاولى إلى استغلال ما هو موجود من عناصر في هذه الطبيعة. ثم الى تحسين تلك الوسائل وتطويرها لتصبح هذه الاساليب والانماط قاعدة التراث الثقافي والاصول الاولى لمقومات الحضارة التي تتبلور من أجلها التشريعات والقوانين والتي تنعكس في نظم لتقسيم العمل وتوزيع الاختصاصات وتنوع الوظائف التي يتعين على أعضاء المجتمع القيام بها في نوع من التكامل والتنظيم، مما يحقق الثبات والاستقرار في بناء المجتمع وينسق العلاقات التي تقوم بين الاشخاص والجماعات؛ فالصحراء، على سبيل المثال، بيئة طبيعية قاسية وفقيرة تتميز بالجفاف والندرة في سقوط الامطار حيث لا يزيد متوسط سقوطها سنويا عن ٢٥ سم، كما تتميز باختلاف كبير في درجات الحرارة ليس فقط بين الفصول كما هو بين الشتاء والصيف ولكن ايضا بين نهار اليوم الواحد وليله.

هذه البيئة الصحراوية تجبر من يسكن فيها على الترحال بأشكاله المختلفة وهذا الترحال يتطلب بدوره خفة الحركة وبساطة المأكل والمشرب والمسكن، كما يتطلب نمطا معيناً من العلاقات الاجتماعية ونظاماً للقيم، خاصاً ونظم تقسيم عمل وتوزيع اختصاصات وأساليب خاصة للتفكير والعمل تختلف عن ما هو موجود في المجتمعات

الحضرية أو حتى الزراعية. لقد خلقت الصحراء بين أحضانها البداوة التي تعد أول نط اجتماعي للحياة عاشه الانسان، فهي بداية سعيه الحقيقي للتكيف مع الظروف الصعبة والقاهرة التي احاطت به، حيث ارتكز هذا التكيف على عادات وقيم ونظم مكنت ابن الصحراء (البدوي) من أن يحافظ في النهاية على حياته وحياة حيواناته في اطار العزلة شبه التامة والاستسلام شبه المطلق لما تجود به الطبيعة من خير وشر^(١).

وعلى الرغم من أن كثيراً من الانثروبولوجيين يؤكدون عدم دقة القول بأن العوامل البيئية هي العوامل المحددة للثقافة، الا أنه من غير الصحيح أن نتجاهل هذه العوامل نهائياً. فالعوامل البيئية تساعد على زيادة أو انخفاض السكان في الصحراء، حيث يزداد السكان أو ينقص عددهم أو تكثر التجمعات أو تقل فينقسم السكان إلى وحدات انقسامية بسبب عدم توفر مناطق رعوية مناسبة وكافية للجميع. ثم إن عطاء البيئة يساعد على استمرار وظهور ونمو أنشطة اقتصادية متعددة. ولأن الطبيعة المناخية الصحراوية تتطلب الحركة والترحال فإنه يترتب على ذلك أن تكون حياة ساكني الصحراء بسيطة ومتواضعة. هذه الحركة والترحال والتنقل من مكان إلى آخر أو أحيانا الاستقرار تعتمد بالدرجة الأولى على توفر المراعي أو عدم توافرها. كما يشوب حركة الترحال هذه الحذر والترصد الذي يؤكد أن البيئة الصحراوية غير مأمونة وغير مستقرة فلا أقل من أن تتوحد الجماعات البدوية في تجمع قبلي تشكل الاسرة فيه أصغر وحداته ثم يمتد هذا التجمع حتى القبيلة الأم.

هذا كما يتبين تأثير الطبيعة على الأنماط الثقافية في العزلة التي تفرضها أنواع معينة من البيئات الطبيعية مثل عزلة سكان المناطق الجبلية أو الصحارى أو المناطق النائية، مما يترتب عليه استجابات بطيئة للتغير والتطورات الحضارية، فاستجابة أهل الصحراء البطيئة للتغير ليس لانهم غير قادرين على استيعاب التغيرات الحضارية بل لانهم يعيشون في حالة عزلة شبه مستديمة في أغوار الصحراء فبالتالي ما يحدث في المدينة من تغير قد لا يصل الى بطن الصحراء، إضافة إلى أن التغيرات الحضارية في المدينة قد لا يرى سكان الصحراء أنها ذات منفعة مباشرة لحياتهم العملية. أما المعرفة التكنولوجية فهي الوسائل التي يمكن استخدامها للانتاج وهي

(١) صلاح الفوال - ١٩٦٨ - تنمية المجتمعات الصحراوية - صفحة ١٠٩.

الادوات والاشياء المادية أو الاساليب التقنية التي تستخدم لمقابلة الاحتياجات المادية وتلعب هذه التكنولوجيا دورا كبيرا في التأثير على شكل وطبيعة الحياة الاجتماعية وعلى الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع .

أما الاستعارة الفنية فهي إمكان الاتصال أو الاستعارة الثقافية أو العزلة والبعد عن المراكز الحضارية . وهذا ايضا لا يقل أهمية عن العامل البيئي أو التكنولوجي في إحداث التغير وفي صقل وتشكيل الانماط الثقافية لكل مجتمع .

البدو :

في ضوء تعريفنا السابق للثقافة، نستطيع القول إن المجتمع البدوي مجتمع متميز عن بقية المجتمعات الاخرى سواء الريفية أو الحضارية، له سماته الخاصة وطبيعته التي تجعله يقع في سلم الاولويات عند التعرض لدراسة المجتمع العربي بل إن الدراسات الاجتماعية سواء كان ذلك في علم الانثروبولوجيا أم علم الاجتماع قد أفردت تخصصات دقيقة لدراسة المجتمع البدوي، مثل الانثروبولوجيا البدوية وعلم الاجتماع البدوي الذي يتميز بمنهج خاص يختلف عن المناهج المتبعة في دراسة المجتمع الريفي أو الحضري . لقد أصبحت دراسات مجتمع الصحراء من المجالات الهامة في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية فأخذت مكانها المعتمد بين مجالات التخصص في هذه العلوم وقد بلغ الاهتمام العلمي بدراسة مجتمعات الصحراء في العالم إلى تكوين الهيئات العلمية المتخصصة بهذا الموضوع من اشهرها «الهيئة الدولية لدراسة الشعوب البدوية» وهي هيئة منبثقة عن الاتحاد العالمي للعلوم الانثروبولوجية والاثنولوجية .

وتمثل دراسة المجتمعات البدوية في الوطن العربي مدخلا اساسيا في فهم الثقافة العربية من حيث ان ثقافة الصحراء تعد المصدر الأساسي للثقافة العربية . كما أن من المعروف أن كثيراً من مجتمعات الوطن العربي تمثل الصحراء أكثر من ٧٠٪ من اراضيها . وإن كان نسبة أهل البادية انخفضت كثيرا فيها إلا أن ذلك لا يقلل من اهمية دراستها، ثم إن حياة البداوة تعد اسلوبا من أقدم أساليب الحياة في الوطن العربي استمر كثير من صفاتها الى وقتنا هذا .

. . من هم البدو؟

البدو مفهوم يستخدم بطرق مختلفة ومتعددة قد تكون صحيحة ودقيقة وأحيانا